بسم الله الرحمان الرحيم

المحاضرة الثّالثة تطبيقات آليّات الشّكلانيّة الرّوسيّة في التّحليل السّردي العربي المعاصر

لقد قدمت الكثير من المقاربات وفق آليات الشكلانية الروسية، ونذكر منها مقاربات اشتغلت على الرواية، وهناك أخرى اختارت مقاربة الأدب الشعبي وقد اشتغلت عليه من خلال آليات بروب، ومنها تقديمات عبد الحميد بورايو في الأدب الشعبي الجزائري، كما ننوه بجهود نبيلة ابراهيم . غير أننا سنختار تحليل النص السردي وفق آليات التحفز التي اقترحتها المدرسة الشكلانية ، ضمن عنوان محاضرتنا هذه والموسومة بـ :

تطبيقات في التحليل السردي العربي المعاصر

التحفيز أنموذجا عند عبد الرحمن مبروك*

اختار عبد الرحمن مبروك آليات ذات مرجعية غربية منبعها المدرسة الشكلانية الروسية، وراح يشتغل بها على ثلاث مدونات سردية عربية معاصرة وهي الغرف الأخرى، المستنقعات الضوئية، وأخيرا صياد اليمام، تحديدا التحفيز أنموذجا .

بعد استخراجه للتحفيز من المدونات السردية العربية المعاصرة الثلاث استطاع أن يقسمها إلى الأنماط الفعلية، والأنماط التشكيلية، والأنماط الوصفية، وأخيرا الأنماط التبادلية، غير أن أهم عنصر بالنسبة لمحاضرتنا هذه هو التحفيز على مستوى الأنماط الفعلية، تحديدا "التحفيز الفعلي للشخصية" حتى نتلمس كيفية المقاربة على عينة منها .

حافظ على مصطلح الأصلي عند الشكلانيين الروس ، إنه التحفيز وكما استقاه من مضانه الأصلية .

قسم عبد الرحمن الأنماط الفعلية إلى قسمين هما الأنماط الفعلية الإيجابية والأنماط الفعلية السلبية، مع الإشارة أنه قد جعل لكل قسم أنواعا، فالأول اشتمل على الرغبة ، التواصل وأخيرا المشاركة. أما القسم الثاني فيخص الإعاقة ، الكراهية وأخيرا الانفصال . وفي هذه التقسيمات والأنواع سجل المقارب مصطلحاته الخاصة بها وقد استقاها من طبيعة التحفيز في حد ذاته الذي استخرجه من المدونات الثلاث .

قد يلجأ المقارب إلى ضبط بعض المفاهيم الاصطلاحية لبعض أنواع التحفيز ومن ذلك نشير إلى مفهوم الأنماط الفعلية، ومما ذكره عنها أنه "يعني بالأنماط الفعلية : الأفعال التي تقوم بها الشخصية وتشكل حافزا للأحداث والأدوار التي تقوم بها في الرواية سواء كانت هذه الأفعال إيجابية كالرغبة والتواصل والمشاركة أو سلبية كالكراهية والانفصال والإعاقة" [1]

في كل نوع يورد شاهدا سرديا عليه، وقد يعمد إما إلى يشرحه أو تفسيره ، وفي أحيان أخرى لا يقدم لنا الدليل السردي على النوع .

أولا-تفصيلية التحفيز على مستوى الأنماط الفعلية الإيجابية:

يرى عبد الرحمان حسب دراسته أن الأنماط الفعلية الإيجابية تشكل محورا بارزا في الرواية، وقد توصل من خلال النماذج الروائية المقاربة أن أفعال الشخصية لا تخرج عن حافز الرغبة أو التواصل أو المشاركة، وأول ما نبدأ به هو :

1-الرغبة:

لم يحدد مفهوم الرغبة وإنما شرع عبد الرحمان مباشرة في مقاربة أنماط الأفعال الإيجابية، وذلك من خلال أنموذج رواية "الغرف الأخرى" محددا تحفيز الرغبة على مستوى أفعال الشخصية، قائلا عن ذلك: "رغبة الرجال والنساء الجالسين على مدرج السلم داخل السجن في الخروج من هذا الحصار الأبدي، بعد أن أنهكهم الزمن الطويل في هذا المكان على أمل الخلاص دون جدوى، وتظل هذه الرغبة تراودهم طوال هذه السنين دون فائدة " [2] ،

لا يحدد فقط التحفيز وإنما يورد المقطع السردي الذي منه استخرجه، ومثال ذلك من رواية "الغرف الأخرى" "على الدرجات التالية قعد رجال ونساء على امتداد السلم نزولا، وعلى كل درجة صف متراص منهم، توقفت لحظة لأتبين الوضع، كان السلم هذه المرة ينحدر إلى مسافة بعيدة إلى أن يغيب في الظلام، كما في قعر بئر سحيقة الغور وقد اكتظ بالبشر وانكفأ بعضهم على بعض، ورغم العتمة المتزايدة استطعت أن أرى أنهم جميعا متعبون، منهكون، صامتون إلا من بعض السعال والنحنحة هنا وهناك، ولقد كانوا في ذلك الوضع منذ زمن طويل .. هذا الدرج خاص بالمحكومين"*

2-التواصل:

يرى مراد عبد الرحمان أن التواصل تحفيز ثان في الأنماط الفعلية الإيجابية للشخصية، ويتجلى في شخصية عفراء "فقد حرصت من بداية الرواية إلى نهايتها على التواصل مع الراوي عندما استطاعت... وفي القاعة المكتظة بالجمهور وأجلسته بجوارها على المنصة وكذلك في غرفة العشاء"[3]

لقد تمثل التحفيز التواصلي على مدار عديد صفحات امتدت من الصفحة الثالثة والتسعين إلى غاية الصفحة التاسعة والتسعين، مقاربا رواية الغرف الأخرى، ورواية الصياد واليمام وأخيرا رواية المستنقعات الضوئية.

3-المشاركة:

يعلق مراجد عبد الرحمان على هذا الحافز بقوله: " تشكل المشاركة ملمحا بارزا من ملامح التحفيز الإيجابي للشخصية ، وفي رواية الغرف الأخرى يتضح تحفيز المشاركة في مشاهد روائية عديدة" [4] ، ثم ينتقل بعد ذلك إلى ضرب أمثلة من تحفيز المشاركة وقد استله من عديد مدونات سردية ومن بينها رواية الغرف الأخرى، " مشاركة الراوي نمر علوان أو

عادل الطيبي للطبيب الوسيم راسم عزت الجالس في العيادة أحزان الإنسانية وما تعانيه من قهر وحصار وانكسار"[5]

ثانيا-تفصيلية التحفيز على مستوى الأنماط الفعلية السلبية:

قدم عبد الرحمن مبروك مفهوم الأنماط الفعلية السلبية فهي " الأفعال التي تمارسها بعض الشخصيات الروائية وتشكل [تحفيز] للأحداث السلبية في النص الروائي"[6]، وقد جعلها ثلاثا وهي الكراهية، والانفصال، والإعاقة.

1-الكراهية:

قدم شواهد كثيرة عن أنموذج الكراهية، وقد قدم تفسيرا لها وأبرز الأقطاب المشكلة لها، فيقول: "كراهية الابن للعم لأنه ظل يعذب أمه بعد وفاة أبيه بحجة أن مسًّا من الجن قد أصابها، ويستمر في تعذيبها حتى يضربه الابن بعصا غليظة فوق رأسه فيتخلص بذلك من قهر عمه واضطهاده"[7] ، ولا يكتفي عبد الرحمان مراد بتفسير تحفيز الكراهية وإنما يدلل بمقطع سردي محدد المدونة والصفحة التي استل منها شاهده على تحفيز الكراهية تحديدا رواية "صياد اليمامة"، يقول الشاهد: "سقطت فوق رأس عمه فتبعثر في كل مكان دما ومخا وعظاما مهشمة وخرج من صدره دم"*. تتواصل عملية الاستشهاد بنماذج عن تحفيز الكراهية لأنماط الأفعال السلبية للشخصية، فمرة نجد الدليل من المدونات السردية وأخرى يغيب عنها الدليل.

2-الانفصال:

من الشواهد التي تمثل تحفيز الانفصال ما حصل بين البطلة عفراء ورئيس الحفل الذي خالف أوامرها حتى حصل الانفصال بينهما، والمقطع السردي من رواية الغرف الأخرى يثبت هذا النوع : "زجرته دون هوادة، انصرف، لا أريد أن أرى وجهك القبيح، عد إلى جماعتك في

الحظيرة، ولا تفارقهم إلى أن تسمع مني فاهم؟ وككلب مطرود يحشر ذيله بين القيد، ذهب متعثرا ف خطوه"**

يعلق عبد الرحمان على هذا التحفيز قائلا: "وهنا يتضح الانفصال القهري حيث تطرد عفراء رئيس الحفل وتنفصل عنه دون أن يملك حق الاعتراض أوالرفض لكنه ينفذ ما يؤمر به فقط"[8] .

3- الإعاقة :

استخرج عبد الرحمان مراد تحفيز الإعاقة من ثلاث روايات، وما نستشهد به نحن في هذا السياق من رواية المستنقعات الضوئية، حيث يقول عنها تحفيز الإعاقة فيها: " للشخصية في المستنقعات الضوئية تمثل في الشخصيات السلطوية مثل المدير الجديد الذي ظل يحقد على حميدة وينظر إليه بحقد وضغينة ، وأوشك أن يضربه لولا رئيس السجانين الذي استعطفه"[9]، ثم يشرح لنا كيف أن هذا يمثل تحفيز إعاقة قائلا: "وفي السحن نفسه، حيث يعد السجن عامل إعاقة لشخصية حميدة، يمنعه من ممارسة حياته الطبيعية ويقيد حريته طوال حياته، ويصدر السجن مصدر حصار للشخصية طوال الرواية"[10] .

خاتمة:

على مستوى هذه المقاربة سعى عبد الرحمان مراد لمقاربة ثلاث مدونات سردية معاصرة وهي المستنقعات الضوئية ورواية صياد اليمام وأخيرا رواية الغرف الأخرى، وحاول من خلالها أن يقارب التحفيز انطلاقا من طروح المدرسة الشكلانية الروسية، وتمثل في أنماط أفعال الشخصية، وبعد استخراجها تبين له أنها تصب في نمطين اثنين من أنماط الأفعال الإيجابية أو السلبية وكل واحد وجد أنه ينقسم إلى ثلاث أنواع حسب ما أوردنا سلفا، ويبقى هذا الجهد محاولة لتمثل الآلية الغربية في مقاربة المتخيل السردي العربي المعاصر .